وما رأيه فى الأشعار التى قيلت فى وصف الإخوان والأبناء والأزواج ؟

أيراها أجنبية عن المجتمع ؟

الحق أنى أجاهد فى غير ميدان ، وأعارك فى غير معترك ، لأنى أشرح البديهيات ، وأقيم الأدلة على أن الجزء أصغر من الكل وأن الواحد نصف الاثنين !

ولكن هل كنت أملك أن أصنع غير الذى صنعت ؟

إن جمهرة القراء لم تكن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين يخطئ ثم يصر على الخطأ ؛ ولم تكن تنتظر أن أهجم عليه وأنا الذى دافعت عنه فى مجلة الرسالة يوم تجنى عليه بعض أدباء لبنان

وقد تفضل بعض أدباء العراق فدعانى إلى أن أنبه الأستاذ أحمد أمين إلى اهتمامه فى الأيام الأخيرة بالدعوة إلى تعزيز اللغة العامية

فهل يظنون أنى موكل بتقويم الأستاذ أحمد أمين ؟

إن المهم هو تذكيره بعواقب ما يصنع فى التجنى على الأدب العربى وتخويفه من غضبة من وثقوا فيه يوم رأوه مشغولاً بالدراسات الإسلامية ، وكان يستحق الثقة قبل أن يصنع بنفسه وبماضيه ما صنع

وتفضل فريق من الباحثين فقدموا إلى شواهد من أغلاط أحمد أمين فى مؤلفاته ودعونى إلى عرضها فى هذه البحوث النقدية

فليعرفوا — مشكورين — أنى لا أستطيع ذلك ، لأنى لا أحب أن يسوء رأى الناس فى مؤلفات أحمد أمين ، برغم ما فيها من أغلاط ، فقد عانى مثل الذى نعانى من إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

ليس المهم أن نهدم الأستاذ أحمد أمين — فتلك غاية صغيرة — ولكن المهم أن نكف شره عن الأدب العربى وأن نزجر من يتطلع إلى مثل غرضه من عوام الباحثين

المهم أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تصد الجامحين ، وتهدى الحائرين ، وهو يعرف فى سريرة نفسه أنى لا أهجم عليه إلا وأنا آسف محزون ، لأنه كان مثالاً للصديق الأمين

وبعد مقال أو مقالين أو مقالات سأتركه ليتنسم هواء البحر وهو آمن بشواطئ الأسكندرية بين رفيف القدود وهدير الأمواج

« الحديث شجون »

زكى مبارك

بين جنـــاية

الأدب الجاهلى والجناية عليه

للأستاذ عبد الجواد رمضان

أنا من أزهد الناس فى الكتابة وأقلهم رغبة فى المناقضات الصحفية الأدبية والعلمية ، على لذة جامحة فى مطالعتها ، ورغبة ملحة فى تتبعها ، وشوق عنيف إلى ما يتخللها من حيلة بارعة وسرعة خاطر ، وصراحة مكشوفة ومداورة خادعة ، وحجة مصيبة أو خاطئة ... الخ

ولعل مشهداً من المشاهد لم يثر فى نفسى شهوة التدخل بين طرفيه ما أثاره موضوع الموسم بين الدكتورين : زكى مبارك وأحمد أمين ، أو الأستاذين العظيمين : أحمد أمين وزكى مبارك « على التغليب يا دكتور » . وأعوذ بالله من شهوة الكلام فقلما فصلت خطة أو حسمت موقفاً أو أصابت مقطعاً يحسن السكوت عليه وينتهى على حده الخصام ؛ ولولا ما فى أمثال هذا الحوار من استعراض الآراء واستثارة شتى المذاهب والبحوث وجلوة القوى العلمية بين المتحاورين مما يعود بالخير على العلم والأدب ، ويفتح أغلاق النظر أمام الباحثين لكان فى إثارتها جناية أى جناية ، وإجرام أبلغ إجرام

المتحاوران فى موضوع الموسم عظيمان ما فى عظمتهما مطعن ، جليلان ما فى جلالهما مغمز ؛ ولئن اختلفت جهات الجلال والعظمة فيهما ، إنهما ليلتقيان فى أنهما قطبان ينفرج عن جهودهما فى البحث والنظر فضل كبير وخير وفير

عرفنا الأستاذ الكريم أحمد أمين رجلاً رزين المجلس ، رصين العقل ، حصيف الرأى ، بعيد الأناة ، عف القلم واللسان . يطالع الناس من آثاره سمت العلماء وجلال المتواضعين ، ونظرات المجربين وثبات المستقيمين ، لا يزهاه النجاح وإن أعجب وبهر ، ولا يثيره اللجاج وإن احتدم وزخر ، بل يمضى قدماً إلى الهدف الذى قصد ، والغاية التى نشد . ذلك أحمد أمين لمن لم يعرفه

وأما دكتورنا زكى مبارك ، فذلك الأديب الثائر الشاعر الناثر الستريسى الباريسى ، الأزهرى الفرنجى الذى خلص له فى هذا الجيل أن يجمع بين أدب الزنادقة ، وإخلاص المتصوفة ، وتؤاخى

بين الإيمان والتمرد ، ويوفق بين الأناقة والهرجلة و ...

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

ترجع معرفتى بالدكتور إلى عهد الصبا ، وهو تلميذ للمغفور له الأستاذ السيد مصطفى القاياتى ، يختصه بفضل عنايته ، ويضفى عليه من أبراد الكرامة ، والثناء والإعجاب، ما يبعد فى غور الحب بينهما ، ويبالغ فى تعلق كل منهما بالآخر ، تعلقاً يفرع به الأقران ويزهى على كل إنسان ؛ ولئن حالت ظروف الحياة دون اتصالى بالدكتور ، إننى لأشهد فى ثورته — كلما ثار — تلك الروح الجريئة الثائرة ، روح أستاذه الكريم حية تتوثب ، لا يكبتها ملام ، ولا ينهنهها وعيد ، ولا تكبحها مخافة ، فليت شعرى ، على أىّ بائعة وقع الأستاذ أحمد أمين ؟!

لا جرم أن الأستاذ أحمد أمين كان فى جُنة من نبل نفسه وكرم أخلاقه ، ومن آثاره القيمة التى لا تدفع عن موارد الخلد ، لو أنه جرى على سننه وأخلد إلى غيله الذى لا يقتحم واستخدم تلك الأذن الذى سكّها — قديماً — ما كتبه الدكتور زكى ناقداً به الدكتور طه حسين بك ، فجعله يرسل حكمه على أولهما فى حيثيته المأثورة : إن الدكتور زكى يلقى مجادله كما يلقى المصارع المصارع ، لا كما يلقى العالم العالم — أو كما قال

بيد أنى أرى الأستاذ أحمد أمين فى عهده الأخير ، أغفل من خلاله ، ما فتح به للدكتور ثغرة ينفذ منها إلى إدراك ثأره القديم ؛ والدكتور — ولا نكران للحق — لمّاح يقظ ؛ ما لبث أن انتهزها فرصة سنحت ، فشفى بها نفسه ، بلا ثمن ولا استكراه

* * *

ما زلت أعرف للأستاذ أحمد أمين فضله ونبله منذ تصورت معنى النبل والفضل ، حتى قرأت له عام أول رده على فضيلة الشيخ اللبان فى جريدة الأهرام ؛ ذلك الرد الذى كان عنوانه : « أدب الخطاب » !! والجواب يقرأ من عنوانه ؛ والشيخ اللبان — وإن جردناه من جميع مميزاته — لن نستطيع أن نجرده من جلال السن ، ومن الشيب فى الإسلام ؛ فليس مما يليق فى أدب ولا عرف أن يعلم أدب الخطاب

أضحى يمزق أثوابى ويضربنى أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟!

من حق الأستاذ ومَنْ دون الأستاذ أن يردّ على مخالفه ، ولكن من حق المخالف ألا يشتم ؛ ولم تكن خشونة الكلام وسيلة من وسائل الإقناع المنطقى ، إلا فى المواطن التى تنكرها الحجة ، ولا يعترف بها العلم ؛ والأستاذ فى علمه وفضله ، لا نعوزه حجة ، ولا يعجزه برهان

كانت هذه عندى أول زلة للعالم الجليل . فأما الأخرى ، فهى إنشاؤه لمجلة الثقافة التى أزالته عن مكانه بين العلماء ، وعدلت به إلى صف الصحفيين ؛ فأصبح وهدفه أن تروج مجلته وتنشر بين القراء ، وتحثو فى وجه كل مجلة سبقتها أو لحقتها ؛ ولا تروج المجلة إلا بجديد ؛ فليجدد مولانا الأستاذ فى : أدب المعدة ، وأدب الروح ؛ وفى : الدين الصناعى والدين الطبيعى ؛ وفى : جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى . الخ الخ الخ

لقد بدأ الأستاذ فكتب ما كتب ؛ وأخذ الكتاب بعده طريقهم ، بين خاذل وناصر ؛ وكان أجرأ الكاتبين « بلاريب » الدكتور زكى مبارك ، ولا فخر . وكان ضرورياً أن ينافح الأستاذ عن آرائه ، وأن يذود عن حياضه ، وهو صاحب القلم الجوّال والرأى الصوّال ؛ ولكن الأستاذ سكت ؛ ولا أدرى : أسكوت مؤقت أم مؤبد ، فإذا كان سكوتاً مؤقتاً ، فأنا أشوق الناس إلى رده ، وذلك ظنى به ؛ وإن كان سكوتاً مؤبداً ، فهل تراه ارتاح إلى الأثر الذى أحدثته آراؤه فى رواج مجلته ، أو أنه رأى أن يعامل الدكتور زكى على سنن ما كان يعلمنا سيدنا فى الكُتّاب :

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمداً يموت ؟ !

وإذا كان رأيه هو هذا ، فإنى أعجل له الجواب ، فأقول : ذاك لو بقيت على حالك ، واحتفظت بمتاعك القديم ، فأما الآن ، فقد تساوت الكفتان ، والفلج لمن برّز ...

على أن الخبيث الدكتور زكى مبارك لن يموت قريباً ، فإنما يعجل بالخيار .

* * *

أما بعد ، فلقد علم الله أنى أحب الأستاذ أحمد أمين وأجلّه ، أكثر مما أحب الدكتور زكى وأجلّه ؛ وكنت قمينا أن أغضب للأستاذ وأتحمس له ، على قدر حبى له ، وإجلالى إياه ؛ ولكن — ولا أكذب الله — أشعر لعمل الدكتور معه بشىء من الارتياح . ذلك لهذه الطعنات الدوامى ، التى حشا بها مقاله : الدين الطبيعى والصناعى ، ليصيب بها قوماً غافلين ، لم يعرضوا له إلا بكل خير ، ولم تغفل عين الله عن الثأر لهم .

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]